سلسلة المحاضرات واللقاءات العلمية لفضيلة الشيخ (٧٣)

صيانة العلم



لفضيلة الشيخ
أ.د. عبد السلام بن محمد الشويعر

الشيخ لم يراجع التفريغ

صيانة العلم

00966558883286
YouTube/alshuwayer9
alshuwayer9

للإعلام بالأخطاء الطِّباعية والاستدراكات والاقتراحات؛ يرجى المراسلة على البريد التالي:
tafreeghalshuwayer9@gmail.com

سلسلة المحاضرات واللقاءات العلمية لفضيلة الشيخ

(٧٣)

صيانة العلم

لفضيلة الشيخ

أ.د. عبد السلام بن محمد الشويعر

النسخة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبدالله ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، وسلم تسليم كثيرا إلى يوم الدين.

ثم أما بعد:

أيها الإخوة الأكارم، فإننا في هذه الليلة نجتمع لنتذاكر أدبا من أدب العلم، إذ المرء حاجته لأدب العلم قد يكون في كثير من الأحيان أشدَّ من حاجته للعلم نفسه، كما قال ذلك أمير المؤمنين في الحديث عبدالله بن المبارك- رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ إن حاجة بعض الناس للأدب أشدَّ من حاجتهم للعلم.

ولمَّا جاء رجل للإمام مالك- أمام دار الهجرة- أراد أن يأخذ عنه بعض العلم الذي ناله، قال: تعلم الأدب ثم تعلم العلم بعده.

إن حديثنا اليوم عن نوع من الأدب: وهو صيانة العلم.

وما زال أهل العلم ينبهون على هذا الباب- أعني صيانة العلم-، ويحرصون على تبيينه والتنبيه عليه، ولذلك فإن من المتون المهمة التي يعظمها أهلُ الأثر ويعظمها العلماء المتقدمون، ما ألّفه الدارمي- رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في مقدمة سننه، فإنه عقد مقدمة نفيسة أورد فيها من مُلح الآداب وأدب العلم الشيء الكثير.

ومما بوَّب عليه الدارمي بوب بابا فقال: (باب صيانة العلم)، ثم أورد فيه آثارا كثيرة وأخبارا متنوعة تدل على الأدب العظيم المتعلق بصيانته.

وما زال أهل العلم دأبهم أن أن يُذكِّروا بهذا الأمر وهو صيانة العلم، وما زالوا يحفظون البيت المشهور:

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم...ولو عظَّموه في النفوس لعظم

أي: لعظم العلم حامله.

وهذا البيت للجُرْجاني ما زال أهل العلم يحفظونه ويوصون الطلاب بحفظه، وإلى عهد قريب، كان المشايخ يوصون تلامذتهم المبتدئين بأن يحفظوا قصائد في الأدب، ومن هذه القصائد في الأدب التي تحفظ هذه القصيدة قصيدة الجرجاني وقد اشتهرت منذ زمن مبكر، حتى إن الخطيب البغدادي لما أوردها بإسناده قال: ومن القصائد المشهورة قصيدة الجرجاني، ثم أوردها.

فالمقصود أيها الإخوة أن الحديث عن صيانة العلم، وعن صيانة ما يكون بين جنبي المرء من الفقه والأثر والنقل؛ فإنه من الأمور المهمة التي ما زال أهل العلم يوصون بها وينبهون عليها.

والحديث عن صيانة العلم حديث طويل؛ بل إن كل حديث يتعلق بأدب المفتي، وأدب المعلم، وأدب الراوي، وأدب القاضي، كل هذه الآداب هي من صيانة العلم.

وقبل أن نتكلم عن صيانة العلم أريد أن أقدم بمقدمات ثلاث هذه المقدمات قد توضح بعضا من الحديث الذي أود التنبيه عليه:

أول هذه المقدمات الثلاث:

أن نعلم أن الحديث عن صيانة العلم إنما يكون بعد اكتسابه، فإن المرء إذا اكتسب العلم احتاج إلى صيانته، وإلى درء ما ينقصه، وترك ما يكون مخلا به، إذا فالحديث عن صيانة العلم متجِه لمن حاز نصيبا من العلم، ومن حاز نصيبا من العلم لا يخلو من وجهين:

إما أن يكون راسخا فيه متمكنا منه.

وأما أن يكون قد أوتي مبادئه، وبدأ بحفظ أوائله

وكلا الشخصين مطالب بصيانة العلم الذي حازه، وقد ذكر العلامة محمد ابن مفلح في الفروع عندما تكلم عما يلزم من الدخول فيه كالحج، قال: والصحيح الذي دلت عليه السنة أن الحج يلزم بالدخول فيه كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِۚ ﴾ [البقرة: ١٩٦] وكذلك العلم، فإن من نال نصيبا من العلم، لزمه لزوم وجوب ألا يضيع العلم الذي ناله، وأن يسعى لعدم التفريط فيه.

إذا فالدخول في أول العلم لا ينفي عن المرء الإثم إن ضيع العلم ولم يصنه، ولذا فإنا الشخصين معا من نال نصيبا وافرا أو نال حظا ولو يسيرا منه كلاهما مأمور بصيانة العلم الذي رزقه الله عَزَّوَجَلَّ إياه وحرزه بين جنباته.

وقد بين النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ هذين الشخصين فقال: «رب حامل فقها إلى من هو أفقه منه»، فالناس ليسوا درجة واحدة، وليسوا على سنن واحد؛ بل هم متفاوتون في العلم.

إذا الحديث في هذا اللقاء وفي هذه المذاكرة حديث لمن رزقه الله عَزَّوَجَلَّ شيئا من العلم، سواء كان راسخا أو كان دون ذلك، وهذا الذي رزقه الله شيئا من العلم لا يخلو كذلك من حالين:

✍ **إما أن يكون قد أوتي علما وقد علم بما أنعم الله عَزَّوَجَلَّ عليه به،** فحينئذ يتأكد عليه حقه، لأنه عالم بما رزقه الله عَزَّوَجَلَّ من العلم.

✍ **أو أن يكون ذلك الرجل غافلا عما أوتي من العلم،** فإن بعض الناس يرزق علما ويحفظ شيئا من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، ولكنه يغفل عن نفسه، والناس قد نزّلوه منزلة هو جاهل بمنزلة نفسه فيها، ونقول ولو كنت لا ترى نفسك شيئا فإن ما حواه جنبك من العلم يوجب عليك أن تصون العلم الذي قد تعلمته وقد حزته، فلذلك فإنه لا عبرة بنظر نفسك لك، وإنما العبرة بما رزقك الله عَزَّوَجَلَّ من العلم والحفظ ولو كان شيء يسير.

۞ المقدمة الثانية:

إن أهل العلم رحمهم الله تعالى لما تكلموا عن صيانة العلم بينوا أن صيانته تكون بأشياء

كثيرة- كما ذكرت لكم قبل قليل-، وأن كل ما أوردوه من الصفات، وذكروه من الأمور، إنما هي على وجه التمام، وليس كل امرئ مستطيع أن يأتي بجميع هذه الأمور على وجهها؛ وإنما المرء يسدد ويقارب كما جاء عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «وسددوا وقاربوا» أو «فسددوا وقاربوا»، كما أن المرأة ربما ترك بعض ما أشار به أهل العلم لمصلحة وحاجة، فإذا عرفت هذين الأمرين وهو أن المرء يسدد ويقارب فيما تتحقق به صيانة العلم من جهة، ومن جهة أخرى أن المرأة لربما ترك بعض الأمور لمصلحة أعلى وأجل؛ فإن ما ذكروه من الصفات، وما بينوه من الآداب؛ إنما هو على سبيل الجملة لا على سبيل الحتم واللزوم على سبيل التفصيل.

۞ المقدمة الثالثة:

إن كثيرا من الأخلاق والآداب بينها وبين ضدها شعرة، وكذلك صيانة العلم، فإن صيانة العلم بينه وبين نقائضه من بعض مساوئ الأخلاق شعرة، وقد أشار لذلك بعض أهل العلم فقد ذكر أبو حامد الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قل ما ينفك أحدٌ من الفقهاء عن التكبر، وأنهم يعللون فعلهم ذلك، بأنه ينبغي صيانة العلم وأن المؤمن منهي أن يذل نفسه، ثم ذكر أنهم يعبرون عن التكبر بالصيانة، ويعبرون عن التواضع بالذل المنهي عنه؛ وإنما ذلك من استذلال الشيطان لهم، وأنهم قد أنزلوا الأمر في غير منزلته.

✍ **إذا معرفة هذه الآداب التي سنشير إليها في قضية صيانة العلم**، هي ليست أفعالا بالجوارح فقط؛ بل لا بد من أن يقترن بها فعلُ القلب، وأعظمُ فعل القلب الخشوع والإنابة والتواضع والتذلل لله عَزَّ وَجَلَّ، ولو أن المرء أخذ هذه الآداب على ظواهرها وفعلها كما يدل عليه ظاهر سياقها، فلربما وقع بما وقع فيه من سبقه من الفقهاء كما ذكر الغزالي من وقوع في ضد ما قُصد منها، وهو التكبر في العلم والتعالي على الناس.

✍ **إذا عرفت هذه المقدمات الثلاث وهي مقدمات مهمة**، فإني أرد أن ننتبه لمسألة أن الحديث عن صيانة العلم وما يتحقق به حديث طويل ومتفرع؛ وإنما سأورد بعضا مما أورده أهل

العلم، ولو أردت أن ترجع لكلام أهل العلم فعليك بكتب الآداب كلها فإنها تتكلم عن هذا الباب، والحديث فيه أطول من أن يُذكر، بل إن العلماء افردوا آدابا للمفتي، وآدابا للراوي، وآدابا للسامع والعالم، وآدابا للقاضي، وكل هذه الآداب هي من صيانة العلم.

ومن أجَلِّ الأخبار التي جاءت في الحث على الالتزام بهذه الآداب التي سأورد بعضا منها، وبُلالة من يَمِّها ما جاء عند الدارمي، عن أبي عبدالرحمن عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: لو أن أهل العلم صانوا العلم ووضعوه في أهله لسادوا به، ولكنهم بذلوه لأهل الدنيا لينالوا من دنياهم، فهانوا على أهلها.

وهذا الأثر هو الذي هو الذي سننطلق إليه سننطلق منه في الحديث عن صيانة العلم وما يتعلق بهذه الجزئية.

ما يتحقق به صيانة العلم.

صيانة العلم هي آكد من صيانة النفس، حتى جاء عن لقمان الحكيم- عليه السلام- أنه قال: احرص على أن تصون العلم أكثر من حرصك على أن تصون نفسك.

فهناك فرق بين صيانة العلم وبين صيانة النفس، وصيانة العلم تكون بعِدَّة اعتبارت:

أولا: صيانة العلم باعتبار استمداده.

إن المرء يكون استمداده للعلم واستفادته منه من وسائل متعددة، فإذا صان هذه المستندات التي استند إليها والمستمدات التي أخذ منها العلم، فإنه بأمر الله عَزَّوَجَلَّ يكون قد صان العلم، لأن الوسائل تأخذ حكم المقاصد.

استمداد العلم من كتاب الله تعالى.

لا شك في أن أعظم المستند- وهو الأصل- كتاب الله جل وعلا، فكل من عظم كلام الله عَزَّوَجَلَّ، ونزله منزلته، وعُني به، وجعله أمام عينيه، وأكثر من تلاوته، فهو قد صان العلم ابتداء، وأما

من غفل عن القرآن وشغل عنه ولو ادعى العلم فإنه لم يصن العلم، وقد روى الضياء المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن أبي الزناد أنه قال: أزْهدُ الناس في القرآن المتفقهة. لأنه ربما انشغل بالفقه وبالقيل والقال عن كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وهذه أول علامات عدم التوفيق، إذ لم يصن أصلَ العلم ومستمدَّة، وما يرجع إليه العلم كله وهو كلام الله عَزَّوَجَلَّ، ولذا يجب على طالب العلم أن يُعنى بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ عناية كبيرة، ولا يغتر بكلام الناس وثنائهم عليه، فإن المرء إذا حُرم القرآن فإنه المحروم حقيقة، وقد مر معكم كثيرا أن أهل العلم يقولون بل ذكر القاضي أبو الحسين بن أبي يعلى أنه وجها واحدا يكره على المرء أربعون ليلة لا يختم فيها القرآن، إذا العناية بكلام الله عَزَّوَجَلَّ وتعظيم هذا القرآن الجليل، هو من صيانة العلم الذي إنما مُستمدُّه من القرآن، هذا الأمر الأول من تعظيم مستمد العلم.

❁ استمداد العلم من الأشياخ.

قال عبدالله بن المبارك - كما في مقدمة صحيح مسلم -: الإسناد من الدين، فإن قيل عمن بقي - أي بقي وحار -، فلم يستطع أن يجاوب.

إن هذا الدين من خصائصه ومن ميزاته التي فارق بها غيره من الملل قبله أنه يؤخذ بالتلقي، ولا يؤخذ من صحف حتى جاء عن عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: سيأتي أقوام أناجيلهم في صدورهم. فهم يحفظون العلم ويروونه وينقلونه ويأخذه الأصاغر عن الأكابر، تسمعون ويسمع منكم.

فمن صيانة العلم أن المرء يحفظ أشياخه، وأن يدعو لهم وأن يثني عليهم، وألا يستنقصَ أشياخه، كما جاء عن شعبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه كان يقول: من كتبت عنه حديثا فأنا له عبد.

إن من بركة العلم أن ينسب العلم لأهله، وأن يثنى على من علمك وبلغك إياه، كما قال رزق الله التميمي الحنبلي الكوفي: يقبح بكم أن تستفيدوا منا، ثم لا تترحموا علينا.

إن من صيانة العلم أن المرء يذكر أشياخه فيدعو لهم، ويثني عليهم، وأن يذكر ما استفاده من علمهم وينقله عنهم، هذه هي احترام الأشياخ، ليس احترام الأشياخ بالمكاثرة، بأن يقول: حضرت على فلان وفلان، ويذكر قصة فلان ليُعظمَ نفسه عند الناس بحضوره عند فلان أو فلان؛ وإنما يذكره ليرفع ذكره بالذكر والدعاء ونسبة العلم إليه، وهذا من صيانة العلم بأن تصونه في أشياخك.

ولذا يقول النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الشيوخ في العلم هم آباءٌ في الدين، ووصلة بين العبد وبين رب العالمين، وتلميذهم مأمور بالدعاء لهم، وببرهم وبالثناء عليهم والشكر لهم.

إذا فمن صيانة العلم أن المرء يصون أشياخه، الذين استفاد منهم، وتلقى العلم بواسطتهم، بالدعاء والشكر والثناء والاستغفار.

❁ استمداد العلم من كتب العلم.

صيانة العلم بحفظ كتب العلم، وهذه مسألة يجب أن ننتبه لها، فإن العلم يؤخذ عن طريق الأشياخ والتلقي، ويؤخذ كذلك عن طريق الكتب، ولذا فإن النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «اكتبوا لأبي شاه»، وهذا يدل على أن العلم يؤخذ من الصحف، ولكنه ليس الطريقة الوحيدة للتلقي؛ بل لا بد من أن يكون معه الأخذ عن الأشياخ، وقد ألف الخطيب البغدادي كتابه المشهور (تقييد العلم)، أورد فيه الأخبار والآثار على الاعتماد على الكتب في الأخذ والنقل والوجادة والرواية بها، بالشروط التي بينها أهل العلم، ولنعلم أن المرء لا يمكن أن ينال العلم فقط بالتلقي والسماع، بل لا بد أن يجمع معه النظر في الكتب، والقراءة فيها وإدامة المطالعة لها.

ومن صيانة العلم صيانة الكتب، وصيانة الكتب تكون باقتنائها وحفظها، والعناية بها وعدم تركها، حتى قال بعض المشايخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا رأيت المرء قد زَهِد في كتبه فاعلم أنه قد نقص علمه. إذا رأيت طالب العلم باع كتبه وتخلص منها فقد نقص علمه إلا أن يكون المرء قد توجه لنوع من الكتب وما زاد عن حاجته رأى أنه لا حاجة له ولا نظر له فحينئذ يتخلص منها هذه مسألة أخرى.

وما زال أهل العلم يتكلمون عن أدب العناية بالكتب، فعلى سبيل المثال فإن المرادي في كتابه (عرف بالشام)، لما تكلم عن أدب المفتين والعلماء عقد فصلا طويلا في التعامل مع الكتب، وكيف أن المرء يجب عليه أن يعنى بالكتب فلا يضعها على الأرض، ولا يفتح الكتاب بحيث أن فتحه لهذا الكتاب بهيئة معينة قد يتلف الكتاب، وكيف أنه إذا صحح كتابا يكون بطريقة معينة، وأطال في الأدب حتى تكلم عن أنه يكره توسد الكتب، ويكره أشياء كثيرة، في قضية التعامل مع الكتب، ثم قال في آخره: وإنما أطلت في هذا الكلام- أي في الحديث عن كتب وأدبها- لحاجة العالم والمفتي له.

إذا فمن صيانة العلم صيانة مستمدِّة من الأشياخ والكتب، والعناية بها والتحقيق في اختيار أصح النسخ وفي تصحيحها ونحو ذلك وهذا من صيانة العلم ليبقى المرء علمُه في صدره محفوظا وقد تقدم كلام الشيخ محمد بن مفلح رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن العلم الدخول فيه يدل على لزوم الاستمرار، ويكون الاستمرار فيه بعد ذلك بالمحافظة على ما تعلمه، بحيث أن المرء يأثم إذا ترك شيئا من العلم وهو قادر على حفظه، هذا ما يتعلق بالأمر الأول وهو صيانة العلم باعتبار استمداده.

ثانيا: صيانة العلم باعتبار بذله.

الأمر الثاني وهو صيانة العلم في بذله، فليس كل تَكلُّم بالعلم وتعليم للعلم يكون صوابا، فإن العلم له أدب في تعليمه، وللعلم سمت في إعطائه للتلاميذ.

فعلى سبيل المثال- مما ذكره أهل العلم في هذا الباب-:

١- أنه لا يجوز البخل بالعلم، فإن من بخل بعلمه وامتنع من تعليم الناس له؛ فإنه سيَفقِدُ ذلك العلم، فإن من صيانة العلم في بذله أن يُعلم، فإن لكل شيء زكاة ونماء، وزكاة العلم في بذله وتعليم الناس، ولكن يجب على المرء أن يتواضع في التعليم، وهذا هو من شروط البذل، فإن بعض الناس لا يعلم إلا بهيئة معينة، ولعدد معين كبير، وهذا علامة عدم توفيق الله عَزَّوَجَلَّ له، وإنما الواجب على المرء أن يعلم العلم كلَّ من احتاج له، وأن يعلم العلم الصغيرَ قبل الكبير والجاهلَ قبل المتعلم

والفقيرَ قبل الغني، إذا فالمقصود أن من عدم صيانة العلم البخل به، والضن ببعض المسائل، ولذا فإن بعض الناس قد يتعلم المسألة ويظن أنه قد حقق ودقق فيها، فحينئذ يبخل بتعليم الناس لها، ثم بعد ذلك تضيع هذه المسألة منه، والعكس بالعكس، فإن المرء إذا تكلم بالعلم ولو كان قليلا زاد، حتى قال بعض الأوائل: إن أكثر ما تستخرج به الفِكَر كثرة الكلام.

فمن تكلم بالعلم رزق فهمه، وأوتي دقة في تحرير هذه المسألة، وكثير من المشايخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان يقول: إني لا أتكلم بالمسألة فيُفتح عليَّ في أثناء التعليم.

٢- أن المرء لا يعلم العلم في كل مكان، وإنما لتعليم العلم- وخاصة تعليم دقائقه- يجب أن يكون في أماكن العلم، ولذلك قال عمر بن عبدالعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا تزال هذه الأمة بخير ما كان العلم في المساجد.

✍ **ولذا يجب أن ننتبه أن العلم الشرعي أن من صيانته في بذله أن يبذل في مكانه في المساجد،** وأن يعلم في حلق العلم، وألّا يكون مخصوصا لأناس دون ناس، وألا يكون في أماكن غير أماكن العلم العامة، نعم قد يكون في الأماكن الأخرى يكون بذل العلم العام الذي يحتاجه الناس على وجه الفريضة، وأما دقائق العلم التي تحتاج إلى فهم فلا بد أن يكون في المكان الذي ما زال أهل العلم يتكلمون عنه وهو خاصة المسجد، ولذلك لا تزال هذه الأمة بخير ما كان علمها في المساجد.

✍ **والعجيب أن أهل العلم أطالوا في كيفية هيئة المعلم والمتعلم في المسجد** عندما يكون العلم، هل يستقبل القبلة أم يستدبرونها، في أي يوم يعلم، وفي أي وقت من أوقات النهار أو الليل يعلم، كيف تكون الحلَقة، هل يلتفت ذات اليمين وذات الشمال أم لا، فكلامهم في ذلك طويل جدا، وكل هذا من باب صيانة العلم في بذله، فالمقصود أن صفة البذل وصفة التعليم في غير المكان هذه لا بد من العناية بها.

وقد جاء عن الإمام المبجل محمد بن شهاب الزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: إن هوان العلم أن يَحمل العالم العلم إلى بيت المتعلم، وكمال العلم أن يأتي المتعلم لمكان العلم كالمسجد ونحوه.

إذا فأحيانا في بعض المجالس عندما يأتي المتكلم بالعلم فيتكلم في مسألة والمكان ليس مناسبا لها يكون هذا من هوان العلم، إذ قد يكون الناس مشغولين عن العلم، غير راغبين فيه ونحو ذلك من الأمور.

٣- صيانته بعدم إعطائه لمن لا تدركه عقولهم، فإن بعض الناس إذا تعلم المسألة وعقله لا يدرك هذه المسألة؛ فإنه ربما ضره ذلك العلم الذي تعلمه؛ بل لربما وقع في العلم وفي أهله، وقد ثبت عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- وروي عن عليٍّ أيضا- أنه قال: ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تدركه عقولهم، إلا أصبح فتنة لبعضهم. وفي لفظ: إلا أصبحوا به مكذبين.

فالإنسان لا يبذل العلم لكل أحد، ممن قد لا يفهم دقائق هذا العلم، ولا يفهم صورته ولا يفهم مراد أهل العلم ومصطلحاتهم؛ وإنما يكون العلم بالتدرج والتعليم فيُبدأ بصغار العلم قبل كباره، كما قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: الربانيون الذين يعلمون الناس صغار العلم قبل كباره.

ومما يتعلق بهذه المسألة أنه قد جاء عند الدارمي عن معاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: إن في آخر الزمان يقرأ القرآن كلُّ أحد حتى يقرأه الصبي وغيره.

وهذا يدل على أن وصول العلم وتعلم العلم من لا يفقه أهمية العلم، فإنه يكن ضررا.

ثم ذكر معاذٌ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بعد ذلك أنه إذا وصل العلم لكل أحد في آخر الزمان كل يتكلم فيقول أنا قد نلت من العلم ما نال غيري فأريد أن أكون مثل غيري، وهذا الذي نراه الآن، فإن العلم الآن أصبح متيسرا لكل أحد، كل أحد في خلال بضع ثوان يستطيع أن يبحث عن طريق وسائل البحث الحديثة هذه فيصل إلى جزء من المعلومة- ولا أقول المعلومة كاملة- فيظن أن ما حققه بعض أهل العلم في سنوات ووصل هو إليه في دقائق إنما هو بذكاء منه وفطنة وليس كذلك، وإنما هو قرأ المعلومة

فظن أنه كفلان وفلان ممن لم يصل لهذه المعلومة إلا بعد سنين بعد تحقيق ونظر وجمع، فظن أنه قد وصل من العلم ما وصل له الأوائل كالشافعي وأحمد ومالك وأبا حنيفة رحمة الله على الجميع.

وهذا مما يدل على أن تسهيل العلم لكل أحد مضر، ووصول العلم لكل أحد بهذه الطريقة مضر، مضر له هو بحيث كان له فتنة كما قال عليٌّ رضي الله عنه، ولذلك كان أهل العلم يقولون إنه يجب أن يُبدأ في أول العلم في أول باب يكون بابا صعبا، حتى جاء بعض أهل العلم في كتب الأصول فقالوا نبدأ بالمنطق قبل أن نبدأ بالأصول، مثل ما فعل الغزالي في (المستصفى) وتبعه أبو محمد بن قدامة، النسخ الأولى من (روضة الناظر) فإنه بدأ بمقدمة في المنطق ثم اتبعها بعد ذلك الحديث عن المسائل الأصولية، لكي يعلم القارئ لأصول الفقه أن هذا العلم يحتاج إلى دقة في معرفة المقدمات وفي معرفة المصطلحات كذلك، فإذا لم يحسن هذين الأمرين؛ فإنه لا يمكنه أن يكون فاهما هذا العلم فهما دقيقا، وهو علم أصول الفقه، وبذلك علل بعض الشراح حينما ذكروا أن العلماء يبدؤون بكتاب الطهارة ويطيلون في تفريعات كتاب الطهارة لكي إذا بدأ طالب العلم بقراءة كتب الفقه وجد أن أول باب- وهو باب الطهارة- فيه تفريعات كثيرة، ليعلم أن هذا العلم لا بد فيه من بذل جُهد ولا بد فيه من تعب.

إذا تكلمنا عن بعض الأمور التي أوردها أهل العلم في قضية صيانة العلم في مستمده، وتكلمنا عن صيانة العلم في صفة بذله.

ثالثا: صيانة العلم باعتبار هيئة حامله وسمته وأدبه.

وهذا النوع من الصيانة للعلم نوع طويل والحديث فيه كبير جدا، ولكني ربما أشير لبعض الأمور التي أوردها أهل العلم في هذا الباب، من ذلك:

الأمر الأول: أن أهل العلم رحمهم الله تعالى تكلموا عن عبادة من عنده علم، وأنه يجب على من نال نصيبا من العلم أن يكون له حظ من العبادة أكثر من غيره، كما جاء عن ابن مسعود

رضي الله عنه أنه قال: يجب على صاحب القرآن أن يُعلم بليله إذ الناس راقدون، وبنهاره إذ الناس مفطرون، وبصمته إذا الناس يخوضون، ثم ذكر أشياء كثيرة بعد ذلك.

فطالب العلم يجب أن يكون له سمت في عبادته، ويجب عليه أن يكون له حزبٌ أكثر من غيره، ولا بد أن تكون محافظته على السنن- وخاصة الصلوات- أكثر من غيره، بل حتى الهيئات في الصلاة، وليعلم طالب العلم أن الناس يقتدون به حتى في هيئته في صلاته، فالناس ينظرون لصفة سجوده، وينظرون لقبضه وبسطه وسدله ونحو ذلك من الهيئات المتعلقة بصلاته، فلا يظن أن الذي ينظر له مَن في سنه أو من هو أكبر منه؛ بل لربما الصغير الذي في أول حياته ينظر له وهو لا يعلم، ويقتدي به وهو لا يشعر، وكثير منا إنما تعلم في أول سني حياته من بعض كبار السن الذين معه في المسجد، لمَّا عظمهم ووقرهم قبل أن يعرف أهل العلم بعدهم، وهذا كبير السن عنده نصيب من العلم، وتقدم في المسجد لصلاحه، ولذا أقول للإخوة من طلبة العلم يجب أن يكون حظك من العبادة أعظم وأشد من حظ غيرك، وللأسف أن علاقة بعض طلبة العلم بالعبادة أصبحت أقل، لا أقول إنها ناقصة عن الحد الواجب، وإنما أقل من كمال الانشغال بالطاعة وظهور العبادة عنده، حتى قال بعض أهل العلم الكلام المشهور: عليك بعلمي ولا يضرك تقصيري، أي تقصيري في العبادة، وهذا لأمر أراده الله عَزَّوَجَلَّ فإن الناس لا يمكن أن يكونوا قد بلغوا التمام، في جميع الأمور كما ذكرت في المقدمات الثلاث في البداية.

الأمر الثاني: ما يتعلق بسمت حامل العلم، فإن طالب العلم يجب أن يكون له سمت في مشيه، وأن يكون له سمت في لحظه، وأن يكون له سمت في لفظه كذلك، ولذا فإن طالب العلم سمته يختلف عن سمت غيره، وحديثه مغاير لحديث غيره، هذا ليس من باب تعظيمه لنفسه، وإنما من باب تعظيم العلم الذي يتكلم به.

واعلم أن في مجالسنا قد يسمع الناس من زيد دون عمرو، مع أن عمرا ربما كان علمه أوسع من علم زيد، والسبب في ذلك أنهم يرون من سمت زيد أكثر وأتم وأكمل من سمت عمرو،

ولذلك السمت هذا مهم جدا أن يعنى المرء بسمته، في أدبه ولحظه حتى إن العلماء تكلموا عن كثرة حركة اليد، كما ذكر ذلك السمعاني وغيره وعن الالتفات وعن هيئة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بالاستنان بكل أمر يتعلق بالسبت.

وقبل أن أخرج من هذه الجزئية، كيف يكون طالب العلم سمته سمت طلاب العلم؟ قال أهل العلم يكون السمت بسببين بالاكتساب والجِبلَّة، وقد جاء عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «إنما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم» كما جاء عند الطبراني، فهذا يدل على أن الأخلاق-ومنها السمت- تكتسب، وإما أن يكون المرء قد جُبِلَ عليها، فإن ذاك الصحابي من عبد قيس لما جاء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فقال له النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إن فيك خصلتان يحبهما الله ورسوله: الحلم والأناة»، قال: هل فُطرت عليهما؟ قال: «نعم» فقال: الحمد لله الذي فطرني على ما يحبه الله ورسوله.

هذا الحديث والذي قبله يدلنا على أن هذا السمت شيء يكون مجبولا في بعض الناس فتجد بعض الصبيان من صِغره قبل أن ينال شيئا من العلم والمصاحبة لأهل العلم تجد أن فيه سمتا، كما قال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: الحياء في الصبي علامة نجابته، إذ الحياء نوع من السمت.

والنوع الثاني يكون مكتسبا، ولنتكلم عن المكتسب، يكتسب طالب العلم السمت بأمور:

أولها: معرفة هدي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في ذلك:

وما زال أهل العلم يتكلمون عن هديه عليه الصلاة والسلام وسمته، ومن أجل الكتب في ذلك كتاب البخاري (الأدب المفرد)، ومنه كتاب أبي الشيخ في (آداب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأخلاقه)، بل لا يكاد كتاب من كتب الحديث إلا ويورد شيئا من آدابه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وسمته، وما زال العلماء يجمعون في آدابه وسمته وينزلونها على المعلمين وعلي طلبة العلم سواء كان راويا أو محدثا أو فقيها أو كان قاضيا أو مفتيا ونحو ذلك مما يتعلق في الآداب، إذا الأمر الأول

معرفة سمت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ والاقتداء به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ سنة.

ثانيا: الإكثار من قراءة سير الصالحين:

وذلك من أراد كسب سمت العلماء فليقرأ في سيرهم، والتَّنَوخِي لمَّا ألف كتابة (المستجاد في سير الأجواد) ذكر في مقدمته أنه إنما ألف هذا الكتاب ليقرأه المرء فيستن بهم، فمن قرأ سير قوم حاكاهم وقلدهم واتبع طريقتهم وسننهم.

ثالثا: مجالسة أهل العلم:

فإن مجالسة أهل العلم يستفاد منهم العلم ويستفاد منهم العقل ويستفاد منهم السمت وهذه مهمة، الاستفادة من العلماء في السمت، فإن للعلماء سمتا ولهم خلقا، ولهم طريقة في التعامل لا يعرفها إلا من جالسهم، ولذا فإن مجالسة العلماء سواء كانت في حداثة السِّن أو بعده علامة توفيق للعبد، كما قال أيوب السختياني رَحِمَهُ اللَّهُ -شيخ الإمام مالك-: إن من توفيق الله عَزَّوَجَلَّ للحدث أن يوفق لشيخ من أهل السنة، إذ الشيخ ملازم للسمت غالبا، وكذلك إذا استمر به العمر فليحرص على مجالسة أهل العلم وأهل السمت وأهل المكانة وكبر التقدم في السن والعقل؛ فإن مجالستهم مؤثرة في سمت المرء، والمرء بقرينه ويتطبع بطبع جليسه.

إذا هذه الأمور هي التي تجعل المرء يكتسب السمت وهو سمت أهل العلم وإنما هو جبلة وتوفيق من الله عَزَّوَجَلَّ أولا، وثانيا تكون بالاكتساب بأمور متعددة ذكرت لك بعضها.

رابعا: صيانة العلم بعدم المماراة فيه.

من الأمور المتعلقة أيضًا بأدب صيانة العلم فيما يتعلق بأدب المرء، وهو أن من نال نصيبا من العلم يجب عليه أن يصون العلم بعدم المماراة فيه، وقد ذكر العلامة ابن مفلح في كتابه (أصول الفقه) أن الصحيح من مذهب الإمام أحمد أن المماراة حرام على المماري ومن ماراه، إذ المماراة ثلاثة أنواع:

❁ **النوع الأول: مماراة مندوب إليها.**

فمن نوى بمماراته ومجادلته الوصول إلى الحق فإنه يكون في حقه مندوبا.

❁ **النوع الثاني: مماراة محرمة.**

ومن نوى التغلب على غيره أو النُّصرة لقوله أو قصَدَ إذلال من أمامه، فإنها تكون حينئذ مماراة محرمة، فيحرم على المرء أن يماري ويحرم على مقابِلة أن يماريَه.

❁ **النوع الثالث: مماراة مباحة.**

وهو الذي يكون فاقدا لإحدى النيتين؛ وإنما تكون نية ثالثة، فإنها تكون مباحة، وقال- أي ابن مفلح-: والتحقيق أنها خلاف الأولى وتركها أولى.

وهذا تجتمع به الأدلة، وهذه المسألة- مسألة المماراة- من المسائل المهمة التي يجب على طالب العلم العناية بها، فإن من صيانة العلم صيانته عن المماراة، فلا يجوز لامرئ أن يجادل في العلم ولا يناقش إذا كان قصدُه هو أن يتغلب، من تعلل من العلم ليماري العلماء فهو حظه، ويجادل السفهاء فهو حظه كما عند الدارمي، إذا إياك أن تماري أحدا لتغلبه برأيك، أو تماري أحدا لتُنقص قدره، فإن بعض طلبة العلم يرى رجلا قد قُدِّم عند أشخاص، فيأتيه حظ نفسه فيسأله بعض المسائل لا بقصد الوصول للحق، ولا بقصد معرفة الدليل؛ وإنما قصده أن يظهر نفسه، أو أن ينقص الآخر، فهذا ليس من صيانة العلم؛ بل هو من تضييع العلم، لأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «من طلب العلم ليماري به العلماءن ويجادل به السفهاء، فهو حظه»، فليس هذا هو العلم النافع، ولذلك فإن من أعظم العلم صيانته عن المماراة، وقد ذكرت لكم ما ذكره ابن مفلح في كتاب (أصول الفقه) وليس في كتابه (الفروع) أن الصحيح من مذهب الإمام أحمد أن المماراة محرمة إذا كان القصدُ منها محرما كالتغلب أو غير ذلك من مقاصد التي أشار لها أهل العلم في محلها.

❁ خامسا: صيانة العلم في لباس حامله.

من الأمور المتعلقة أيضًا بصيانة العلم في الهيئة والأدب صيانته في اللباس، وما زال أهل العلم يتكلمون عن اللباس، ولهم كلام طويل محصلة ما يلي:

❁ **الأمر الأول:** أن العلماء يقولون: إن طالب العلم يجب عليه ألّا يلبس لباس شهرة، وقد رُوِّينا عند البيهقي أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ نهى عن لبستين، إحدى هاتين اللابستين هو لباس الشهرة، الذي يكون المرء به مشتهرا عن الناس، ممايزا لهم مغايرا فكأنه يقول للناس أنا هنا فانظروا لي، هذا يسمى لباس الشهرة، وهذا موجود عند بعض الناس، فإذا لبس هذا اللباس وقع في نفسه من العُجب بنفسه، ووقع في نفسه من تعظيم ذاته، إذ الناس ينظرون له بهيئة الإكبار والإعجاب.

❁ **في المقابل أنه لأهل العلم زي يخصهم**، ولذا قال ابن عبدالسلام التونسي- وهو غير العزة عن السلام، فإن ابن عبدالسلام التونسي شرح المختصر لابن عرفة، شرحا نفيسا وهو مالكي بينما ابن عبدالسلام الشافعي معروف هو أبو محمد العز بن عبدالسلام هو صاحب الغاية وغيره من الكتب- ابن عبدالسلام المالكي صاحب شرح مختصر ابن عرفة يقول: كنت حاجا فأنكرت على بعض الحجيج المغاربة، لأنه من تونس فأنكرت عليهم بعض المسائل فلم يقبلوا مني لأني كنت لابسا للإحرام، فلما لبست زي العلماء الذي يلبسه المغاربة حينما تحللت من الإحرام أنكرت عليهم ما أنكرته قبل ذلك فقبلوا بعد ذلك.

إذا لأهل العلم زي يُعرفون به وهيئة يعرفون بها.

❁ الأمر الأول الذي يتعلق بلباس طالب العلم:

الهيئة، فإن زي العلماء لا إسبال فيه من حيث الكعب، إذ الإسبال منهيٌّ عنه، بعض أهل العلم يقول لا إسبال فيه من حيث الكم، فإن طول الكم كان بعض أهل العلم ينهى عنه وهو المشهور من مذهب أحمد، ولذا كان في بعض البلدان كانوا يلبسون الأكمام الوسيعة، فافتى بعض المشايخ بأن

هذا لا يجوز وأنه من الإسراف، حيث لا حاجة، له فيدخل في الإسبال في الكم، فترك أهل العلم بعد ذلك الثياب ذات الاكمام الوسيعة التي كنا نسميها إلى عهد قريب بالثياب المرودنة، أفتى بذلك الشيخ محمد بن إبراهيم فتركها الناس بعد ذلك.

✍**إذا أهل العلم معروفون بزي معين في لبسهم** أول علاماته أنه على السنة، اذ كيف يكون المرء حاملا للعلم؟ ويكون زيه على غير السنة، هذا ليس من هيئة العلم في شيء.

✍**لكن كما تقدم -عند ذكر القواعد الثلاث- أنه قد تترك بعض السنن للمصلحة**، ومن أمثلة ذلك ما روى يعقوب ابن سفيان الفسوي في كتابه (التاريخ)، أن أيوب السَّخَتيَانِي- شيخ الإمام مالك- قال: كان التشمير سنة فأصبح في زماننا شهرة.

فأحيانا قد تترك بعض السنن كالتشمير وهو أن يكون إلى نصف الساق هذا سنة، قد يتركه بعض الناس في بعض المواضع وليس مطلقا، لمصلحة معينة، وأما ما تحت الكعب فكما تعلمون عند المحققين من العلماء أنه حراما، إذا كان بقصد الخيلاء فهو حرام؛ بل هو عنده معدود من الكبائر، لترتيب الوعيد عليه.

✍**فالمقصود من هذا الكلام أن طالب العلم يجب أن يكون أول علامات زيه أن يكون على السنة**، وهذه من الأمور المهمة التي يجب أن ينتبه لها، هيئته ولباسه وسائر هيئته في أظفاره وشعوره، وسائر الأمور المتعلقة بظاهره الذي ينظر الناس إليه.

❁ **الأمر الثاني الذي يتعلق بلباس طالب العلم**: أنه يكون من زي العلماء عند الكلام في العلم، فعند الكلام في العلم وعندما يتصدر المرء في مجلس فقد جرت العادة في كل بلد أن لهم لباسا لأهل العلم، فبعض أهل العلم لباسهم في عمائمهم، وبعض الناس لباسهم في أرديتهم- كالعباءة ونحوها-، وبعض وبعض الناس لباسهم في قُمُصهم، فتجد في بعض البلدان الفقيه والعالم إذا أراد أن يتكلم لبس بعض أنواع اللباس الذي يكون في القميص، فعند تعليم الناس العلم تلبس هيئة أهل

العلم، وأما في خاصتك حيث لا يكون هناك تعليم فإنه ربما كان هذا الإظهار أمام الناس قد يكون فيه نوع لحظ النفس.

إذا زي العلماء الذي يعرفون به يكون عند تعليم الناس العلم، لكي يعرف العلم الناس أن هذا هو المعلم، وأن هذه هيئته، وهذا مسألة قديمة جدا، طبعا الحديث سبق أن ألقيت فيها محاضرة فيما يتعلق بزي العلماء وكلام الشيخ تقي الدين، طبعا هذا الكلام قديم عند أهل العلم فقد ذكر الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: لم أفت حتى شهد لي سبعون معمما أني أهل للفتوى. قال ابن ناصر الدين: ولم يكن يتعمم في ذلك الزمان إلا فقيها. فكان ذلك من زي أهل العلم في الزمان الأول.

سادسا: صيانة العلم في تعامل طالب العلم مع غيره:

مما يتعلق بصيانة العلم في الهيئة والآداب فيما يتعلق بتعامل طالب العلم مع غيره، والواجب على طالب العلم في تعامله مع غيره أن يكون من أكمل الناس خلقا، وأكثرهم تواضعا، سواء في بذل العلم أو في سائر الأخلاق، وفي نفس الوقت لا يدخل في كثير من سفاسف الأمور؛ بل لا بد عليه أن يصون نفسه، من الحديث في أمور قد تنقص العلم الذي حمله، ولا أقول تنقصه هو بل إن كل امرئ مأمور بصيانة نفسه، ولكن طالب العلم إضافة لصيانته لنفسه مأمور بصيانة العلم الذي بين جنبيه، فلا يدخل في كثير من الأمور التي ربما إذا تكلم فيها أو خاض في جزئياتها ربما تكلم الناس فيه وتكلموا في عرضه واستنقصوا العلم الذي حمله.

ولذا فإن طالب العلم يجب عليه أن ينقبض حيث لا نفع للناس منه، ويتواضع حيث كان النفع، وفي نفس الوقت يجب عليه أن يعنى وأن يحرص، على ألا يكون انقباضه سببا في كِبره وتعاظمه- كما تقدم- أن بين الكبر وبين صيانة العلم شعرة كما ذكر ذلك الغزالي وغيره.

ومن كلام بعض أهل العلم في هذه المسألة ما نقله أبو الفرج ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن معروف الكَرْخِي- وهو من العلماء المعروفين وأهل الزهد والعبادة وهو على طريقة السلف كذلك- أنه كان يخرج إلى السوق فيبيع ويشتري، فلما قيل له: لم تدخل السوق؟ قال: إنه ليس لي حاجة لبيع ولا شراء، ولكن انكفافي عن الناس أوجد في قلوب الناس تعظيما لي، فأردت أن أخالطهم ليقل تعظيمهم لي.

إذا هنا فرق بين أمرين بين صيانتك لأجل العلم، وانكفافك لأجل حفظ العلم لكي لا يتكلم في العلم وبين انقباضك عن الناس لأجل الكبر وبينهما شعرة، وهذه مسألة مهمة يجب أن يعنى بها طالب العلم.

سابعا: صيانة العلم بألّا يترزق طالب العلم بعلمه:

مما يتعلق بصيانة العلم كذلك وهو أن طالب العلم يجب عليه ألا يترزق بالعلم، ويجب عليه ألا يكتسب به شيئا، وقد ذكر أهل العلم وحكاه الشيخ تقي الدين إجماع أنه لا يجوز لطالب العلم أن يأخذ أجرة على العلم، وقد قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «واتخذ مؤذنا لا يأخذ على آذانه أجرا»، فلا يجوز أخذ الأجرة في الجملة إلا استثناءات معينة ذكرها العلماء في باب الإجارة، فالمقصود أن طالب العلم يجب عليه ألا يأخذ أجرة على علمه من جهة وألّا يترزق بعلمه.

ومما يتعلق بعدم ترزقه بعلمه أمور:

منها: أن المرء إذا كان سيعامل معاملة معينة بسبب علمه فيجب عليه أن يبتعد عن ذلك فلا يترزق به لكي يكون علمه لله عَزَّوَجَلَّ، وقد جاء أن الحسن البصري دخل السوق مرة فما كسا صاحب بضاعة، فقال له البائع لو كان غيرك لما بعتها وإنما هي لأجلك، فقال أما وقد كان كذلك فإنه لا حاجة لي ببضاعتك. إذا لما خفضت لي في السعر لأجل أني فلان ابن فلان، العالم الفلاني وهو الحسن البصري، إنما بعتني لأجل هذا العلم فلا أريدها.

والإمام أحمد- كما نقل ذلك عنه ابن رجب- أنه كان يذهب إلى المسجد من طريق، ثم بعد ذلك انتقل لطريق آخر أبعد من الطريق الأول، فلما قيل له في ذلك قال: أنا رجل بُليت بالشهرة. لما عُرف بالطريق الأول أصبح الناس يسلمون عليه، أصبح ينتقل لطريق آخر، قال لا أريد أن يعرفني أحد.

إذن في أمور الدنيا يجب على طالب العلم ان لا يتكسب بالعلم وألا يأتي بهذا العلم عند من يبذل المال فيه، ومن أجمل الكتب كتاب لأبي بكر المَرُّوذِي وأبو بكر المَرُّوذِي عُني بجمع المسائل المتعلقة بالأدب والورع عن الإمام أحمد وعن كبار أصحابه، كإبراهيم بن أدهم وعبدالوهاب الوراق وغيرهم فجمع عددا من الكتب ككتاب الورع الصغير والورع الكبير وبعض الكتب، ومنها كتاب في أخبار الصالحين جمع فيها أن طالب العلم يجب عليه ألا يأتي ذوي الجاه وألا يجلس مجالسهم وألا يغشى أنديتهم وأن يبتعد عنهم، فإن هذا من أعظم الصيانة للعلم.

ثامنا: صيانة العلم حال التكسب:

مما يتعلق بصيانة العلم، ما يتعلق بكسب المال، فإن طالب العلم لربما احتاج المال فلربما غشي بعض المجالس أو فعل بعض التصرفات لأجل الاكتساب لأجل المال، فكان فعله هذا فيه إهانة للعلم، وعدم حفظ الله وترك لصيانته، وهذا من أطول المسائل التي تكلم عنها العلماء في قضية صيانة العلم.

وقد ذكر ابن الجوزي في كتابه (صيد الخاطر) قال: إني تأملت هذا الباب فوجدت أن صيانة العلم فيه تكون بأمرين:

❁ **الأمر الأول**: بالقناعة، فيوطن طالب العلم نفسه على القناعة، بما رزقه الله عَزَّوَجَلَّ، فيعنى بالقناعة بالرزق، وأن يكتفي بأقل القليل مما رزقه الله عَزَّوَجَلَّ، وألا يمد عينيه إلى ما مُتع به غيره من زهرة الحياة الدنيا، وألا ينظر له.

❁ **الأمر الثاني**: قال: وأن يقتطع طالب العلم من وقته شيئا لأجل الاكتساب، فيقتطع من وقته شيئا لمهنة يمتهنها، وعمل يعمله ووظيفة يكتسب منها، فإنه إذا فعل ذلك اغتنى بأمر الله عَزَّوَجَلَّ عن أن يتكسب بالعلم، أو أن يغشى أحدا يعطيه لأجل وصفة بالعلم فحين إذ يهين نفسه ويهين العلم.

والحقيقة أيها الإخوة أن الحديث عن صيانة العلم وما يتحقق به طويل جدا وقد كان في ذهني أنا أتكلم عن بعض ما ذكره أهل العلم ولم أورد إلا بعض ما كان في ذهني من بعض ما ذكره أهل العلم ولذلك هو بعض مما ذكروه وإنما أنا ناقل.

ولكن أريد أن أختم بمسألة أؤكد عليها مرة أخرى أن طالب العلم يجب عليه أن يعنى بالأدب، هذا الأدب إذا عني به فقد صان العلم الذي أنعم الله عَزَّوَجَلَّ عليه به، وأن يعلم طالب العلم أن هذا الأدب ليس المخاطب به كبار العلماء والراسخون، بل إن كلا من أوتي حظا من العلم ونسب للاستقامة ولطلب العلم فإنه مأمور بتعلم هذا الأدب ومأمور بصيانة العلم الذي حازه، وهو مأمور كذلك أمر وجوب كما نقلت لكم عن ابن مفلح الفروع أن من دخل في العلم وجب عليه إتمامه كالحج وغيره من العبادات.

كذلك هذه الآداب التي أوردها أهل العلم تكتسب بقراءة كلام أهل العلم وقبل ذلك بقراءة سيرة النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، والقراءة في سيرهم ومصاحبة أهل العلم، ولذلك طالب العلم لا ينفك عن الحاجة عن مجالسة أهل العلم، لا لأجل العلم فقط بل لأجل السمت، ولذلك تجد طالب العلم سمته الذي يجالس سمته حتى في لبسه، حتى في هيئته فإن البذاذة من الإيمان، فتجد لبسه لا تعظيم فيه ولا فخامة، وفي نفس الوقت ليس بذيئا وإنما هي بذاذة، في جمال ولكنها بذاذة أي سهلة، ويسيرة وكذلك طالب العلم.

❁ **الأمر الأخير أن نعلم أن هذه الوسائل التي أوردها أهل العلم في صيانة العلم وهي متعددة**

كلها درجات وليست درجة واحدة، وأن الجمع بينها مما يتعذر على أغلب الناس، إلا القلة من أهل العلم الذين جمعوا بين العلم وأدبه وهؤلاء إذا وجدتهم فهم كما قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ هم كالكبريت الأحمر من شدة ندرتهم وقلتهم في الزمان؛ بل قال إذا وجدت أحدهم فأعضض عليه بأسنانك واقبض عليه بكلتا يديك فقل ما يكون امرؤ قد جمع بين العبادة والأدب والعلم، ومن جمع هذه الأمور الثلاث فهو الذي أوتي العلم وصيانته كما تقدم، ولكن كما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «سددوا وقاربوا»، فاحرص على أن تأتي إن لم تستطع الكل فأتي ببعضه بحسب استطاعتك، ولكن ليكن بعلم، فإذا وجدت المصلحة الراجحة قدمت المصلحة على بعض الآداب، كما قرر أهل العلم في محله، مثل قد تكون المصلحة في الدخول على بعض ذوي الهيئات لمصلحة تُرى في هذا الباب، أو أن تكون المصلحة في الذهاب لبعض الأمور مثل ما ذكر العلماء في باب الإجارة أنه يجوز أخذ الأجرة على تعليم القرآن للمصلحة العامة حيث لا يوجد من يتبرع بتعليم الناس القرآن فيجوز أخذ الأجرة حينذاك.

وهذه القواعد التي أوردتها قبل تنزيلها إنما يكون بالتعليم.

نسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يرزقنا جميعا العلم النافع والعمل الصالح، وأن يتولانا بهداه وأن يغفر لنا ولوالدينا والمسلمين والمسلمات.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

✍يقول السائل: أحسن الله إليكم هل أخذ الدروس العلمية عبر وسائل التواصل يعتبر من تلقي العلم؟

الجواب: ابتداء لا شك أنه من العلم، وقد تقدم أن من وسائل تلقي العلم الوجادة بالكتب، وما زال أهل العلم ينقلون بالوجادة، وكثير من العلم في العصور الأولى نقلت وجادة، وكذلك أغلب الكتب في زماننا إن لم نقل جميع الكتب في زماننا إنما نقلت بالوجادة، إذا التلقي من الكتب مقبول

فكذلك إذا حبس العلم صوتا عن طريق التسجيل الصوتي فلا شك أنه من وسائل العلم بشرط التثبت بأن هذا هو القائل فلان وليس منسوبا له وهذا الحمد لله التثبت الآن سهل جدا فمعرفة الصوت والصورة واضحة فيه، مثل ما ذكروا في التثبت في الخط أنه خط فلانا يعرف خط فلان دون خط فلان وتكلموا عنها في باب الوجاجة.

فهذا لا شك أنه من طرق تحصيل العلم، لكن لا شك أنه وسيلة للعلم لكنه لا يغني عن طلب العلم عند المشايخ، إذ للمشايخ في مجالستهم فائدة أخرى، كالسؤال وهذا لا يحصل في السماع عن طريق وسائل النقل، كذلك الاستفادة من السمت والأدب، كذلك النظر في عقله، إذ العالم يستفاد من عقله، في إجابته عن بعض المسائل متى يجاب، ومتى لا يجاب، إذ من العلم عدم الإجابة عن بعض الأسئلة، وليس كل علم يقال، فالمقصود أن معرفة مسائل العقل هذه التي متعلقة بالعقل في الإجابة وبما تكون الإجابة، هذه إنما تكون بالمجالسة.

يبقى مسألة أثيرت عند أهل عصرنا، هل يصح لشخص أن يقول إن شيخي فلان مع أنه لم يجالسه، وإنما استمع لأشرطته أو لتسجيلات صوته، هل يصح أن يقول هو شيخي أم لا؟ رأيت لبعض المعاصرين رسالة مطبوعة، في تقرير أن من سمع لآخر بشرط المعاصرة فإنه يصح أن يقول هو شيخي، وعلى العموم سواء قال هو شيخي أو لم يقل هو شيخي النتيجة واحدة، إذ العبرة بحصول العلم، وأنا وجهة نظري أن قول المرء إن فلانا شيخي، يجب أن يحترز المرء منها، فلا يكثر من قول أنا شيخي فلان؛ لأن بعض الناس يقول شيخي فلان قصده أن يعلي مكانه، وأن يرفع درجته، فيقول جالست فلانا وفلانا وفلانا، فيكون من باب المكاثرة في العلم، والمكاثرة في العلم ذكر بعض العلم أنها منهي عنها مثل تتبع الطرق والإكثار منها، فقالوا إنه منهي عنها وإنما المقصود معرفة الصحيح والعلل فقط.

۞ متىٰ ينقل المرء عن شيخه؟

أولا: إذا كان من باب الرواية، فإن الإسناد من الدين هذا واحد.

ثانيا: إذا أردت أن تنقل علما عن الشيخ فتقول قال فلان سمعت فلانا؟ إذا إذا قلت شيخي فلان وقصدك تعظيم نفسك وإكبار نفسك فحاول أن تقل منها، لا أقول إن ذلك خطأ وإنما أقلل منها لأجل قلبك، مراعاة لقلبك لكي لا يقع الكبر في قلبك.

وإن كان القصد نقل العلم عن ذاك الشيخ فهنا حسن، ولذلك من انتفع من غيره انتفاعا، فإنك تنفع ذلك الشيخ بنقل علمه، هذا هو أعظم ما تنفع فيه شيخك، أو بالترحم عليه والدعاء له.

وهنا أنقل لكم فائدة، كان أحد مشائخنا يقول أنا أدعو لثلاثة من المشايخ كلهم ماتوا هو ومشايخ هو كلهم ماتوا، يقول أدعو لفلان وفلان وفلان، فإن هؤلاء الثلاثة لهم فضل عليّ عظيم، أما فلان فكان أول من تعلمت عليه وفلان هو الذي دلني على المسألة الفلانية، وفلان هو الذي خصني بالتقديم، وكان في الدرس لا يجعل بيني وبينه الا المركاة، فكان يجلني، ولذلك الشيخ إذا أجل بعض الطلبة يحملها الطالب له، ويرى أنها منفعة وهذه لها باب آخر غير هذا الباب.

✍ يقول السائل: كيف يجمع طالب العلم بين طلبه للعلم وطلبه للرزق، وتربية الأولاد؟

الجواب: **أول شيء أقول لك** أن الذي عنده عمل يترزق منه أقول ظنا مني أن أجره ربما يكون أعظم من أجر الذي يكون متفرغا للعلم بكليته، والسبب أن ذاك الرجل الذي عنده عمل آخر يقتطع من وقته اقتطاعا أشد لأجل تحصيل العلم، فهو قد بذل شيئا أكثر.

الأمر الثاني: أنه- نحسبه والله حسيبه- يطلب العلم لله عَزَّوَجَلَّ، إذ رزقه مكفول بوظيفته وبمهنته وببيعه وشرائه، ولا يرجو من هذا العلم مالا ولا وظيفة، فأحسب- والعلم عند الله عَزَّوَجَلَّ والناس تختلف بنياتهم، لا أقول إنه حكم كلي ولا أغلبي، أقول أحسب- أن الناس يختلفون لأن الناس يتفاضلون باعتبار ذلك فأنا أقول هذا الذي عنده وظيفة أجرك أعظم لا شك.

يبقى في قضية التحصيل، لا شك أن الذي يبذل وقتا أكثر في العلم يحصل أكثر كما قال الزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: العلم إن أعطيته كلك أعطاك بعضه. فالعلم كلما أعطيته وقتا أكثر ووقتا يكون فيه ذهنك متفرغا كحال حداثة سن وعدم انشغال ذهن بمشاكل أو بمرض ونحو ذلك؛ فإنه حينئذ تتحصل على العلم الأكثر، ولكن على العموم أنت لا تقطع نفسك من العلم، يجب أن يكون لك وردا من القرآن ووردا من دروس العلم لا تقطعها، أحد الإخوان يقول عاهدت شيخي على ألا يفصل بيني وبين درسه إلا الموت أو العجز، أحدنا يعجز، سنستمر ولذلك أنا أتذكر المشايخ قديما يحضر دروسهم أناس في الستين وفي السبعين من عمره ما يقطعون الدرس وما زال بعض الناس الآن أعرف يحضر درس شيخه وهو فوق خمس وستين سنة ويقرأ على شيخه يقرأ عليه من أربعين سنة ما قطع الدرس، التلميذ وصل مرتبة في الجامعة أعلى بكثير من شيخه، لكنه بدأ مع الشيخ وما قطع وهذا من التواضع في العلم، ومن الإجلال وصدقني أن الله عَزَّوَجَلَّ يجعل في قلوب الناس تعظيما لهذا الذي تواضع في تحصيل العلم مع شيخه أكثر مما يظن هو أنه من باب استنقاص.

إذا اجعل لك نصيبا من الدروس لا تقطعها واجعل لك نصيبا من القرآن لا تقطعه واجعل لك نصيبا من القراءة لا تقطعه، واجعل لك نصيبا من المذاكرة لا تقطعه، هذه أوراد يجب ألا تقطعها، هذه الأمور الاربعة لا تقطعها قدر استطاعتك، ومع ذلك أكد عليها بكثرة دعاء الله عَزَّوَجَلَّ أن يرزقك العلم النافع، فإنك لا تدري ما العلم النافع، قد تفهم المسألة لكن لا تنتفع به لا في عملك ولا في تعليمك، ليس كل امرئ نقل عنه العلم وشهر في زمانه هو أعلم الناس، وهذا معلوم اثنان يكونان أحدهما أعلم من الثاني وأذكى وأنبه- سبحان الله- والعلم ينقل عن الثاني دون الأول، والناس يعرفون الثاني دون الأول ويثقون بالثاني دون الأول هذا هو العلم النافع والعلم عند الله عَزَّوَجَلَّ.

لذلك أنت اسأل الله عَزَّوَجَلَّ العلم النافع دائما أكثر مع بَذْلِكَ الأسباب سؤال الله عَزَّوَجَلَّ اللهم ارزقني العلم النافع، إذا كان النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ يسأل الله عَزَّوَجَلَّ العلم النافع، فمن باب

أولى وأحرى من دونه.

يقول السائل: أشعر بالوحدة في طريق طالب العلم؟

الجواب: أول شيء هنا يجب أن تفرق بين أمرين، بعض الناس يظن أن طالب العلم لا بد من أن يكون معه شخص يستمر معه في علمه كله، وهذا ليس بمفيد، بل الوحدة خير منه، لأنك إذا مشيت مع آخر في العلم لنقل إنكما اثنان، فضعف الأول فستضعف معه، كسل الأول فستكسل معه، توقف الأول عن تحصيل العلم فستتوقف معه، شغل شغلت معه، فستجد أنك تمشي مع صاحبك، ولذلك هذا الاستمرار مع غيرك في تحصيل العلم في كل طرقه، ليس بالحسن، بالعكس يجب أن يكون لك وردك الخاص بك، في قيام الليل وفي قراءة القرآن الخاص بك في قراءة القرآن، في قراءتك الخاصة، وفي علمك يجب أن تكون متعلق العلم عبادة، والأصل في العبادة أن تكون وحدك، إذا اجعل العلم وحدك لا ترتبط في العلم مع غيرك، هذا النوع الأول الذي الوحدة فيه خير من أن تكون مع غيرك.

❁ النوع الثاني من المشاركة في العلم والمجالسة، المجالسة في العلم من باب المذاكرة، طالب العلم إذا انقطع عن مذاكرة العلم ضعف علمه.

جاء أن أبا حنيفة النعمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ أوصى تلميذه محمد بن الحسن كما في آخر كتاب الأشباه والنظائر لابن نُجيم بوصايا في العلم من هذه الوصايا أن قال له ولا تسكن القرى، وإنما اسكن الأمصار حيث وجد العلم، فإن القرى تضيع العلم، إذ المرء لو سكن قرية لا علم فيها ضاع علمه.

وثبت أن الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال: كنا عند ربيعة أكثر من أربعمائة طالب علم، لم ينجب منهم إلا أربعة، أما أحدهم وهو فلان فقد اشتغل بأغاليط العلم، وهو المراء، ودخل على السلطان، وتقدم أن الانشغال بالأغاليط وإتيان بالجاه من عدم صيانة العلم فضاع علمه، وأما الثاني فمات صغيرا، ومات علمه، وأما الثالث- وسماه- فإنه قد سكن قرية لا علم فيها، فمات علمه،

وأما الرابع قال الراوي فلم يسمه لنا مالك، قال وأظنه يقصد نفسه.

إذا الإنسان إذا كان عنده علم إذا لم يجالس أهل علم ضاع علمه لا بد من مجالسة أهل العلم، لا يلزم أن تجالس من هو في سنك بل اجلس مع من هو أعلى منك، واجلس مع من هو دونك ولكن استفد منه من العلم وأعطه من العلم، لا يلزم أن تقرءوا معا بل قد تكون مذاكرة قد تكون مدارسة، قد يكون إدارة في العلم وإدارة القرآن كما تعلمون كلام ابن أبي موسى في الإرشاد عليها يعني فيها روايتان في المذهب في القرآن أما غير القرآن فيجوز إذا المقصود من هذا أن المدارسة هذه مهمة لطالب العلم يدارس ولو بتعليم الناس، ولا تقل إني أريد أن أعلم الناس أكثر العلم، بل علم الناس صغار العلم، ابدأ حتى بمن ربما لا يجد العربية، فعلمه بلغته، ستجد أن علمك قد زاد ونمى، إذا لا بد من التعليم ومن المذاكرة والمدراسة، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد.